

النقد الأدبي الأمازيغي

رشيد بوهدّوز

طالب باحث - ماستر "الدراسات النقدية
في الأدب الأمازيغي"
الكلية متعددة التخصصات بالناظور
المغرب



توطئة:

يُعدّ النقد الأدبي (La critique littéraire) من الأساسيات في عالم الأدب؛ لأنه يلعب دورًا محوريًا في فهم النصوص وتحليلها، مع تقديم إرشاداتٍ، تسهم في تطوير العمل الأدبي، وزيادة جودته. ولا يقتصر النقد الأدبي على تصحيح الأخطاء، أو كشف العيوب فقط، بل يمتد ليصبح أداة تُرشد الكُتّاب إلى تحسين أساليبهم، واستكشاف زوايا جديدة للإبداع، وتقديم أعمال ذات قيمة أدبية عالية.

وفي الأدب العالمي، كان للنقد تأثير كبيرٌ في توجيه الحركات الأدبية، وتشكيل التيارات الثقافية؛ مما أدى إلى بروز أساليب ومدارس أدبية جديدة. وإذا انتقلنا إلى الأدب الأمازيغي، فإننا نجد أن النشاط النقدي ضُمّنه يكتسي أهمية خاصة كذلك، علما بأن الأدب الأمازيغي يمر بمرحلة انتقالية حساسة؛ بسبب تحوله من ثقافة شفوية غنية إلى أدب مدوّن، يسعى إلى تثبيت هويته وذاته داخل الساحة الأدبية؛ هذه النقلة النوعية تجعل الحاجة إلى النقد الأدبي أكثر إلحاحًا؛ إذ يُصبح بمثابة الجسر الذي يربط بين الماضي والحاضر، ويوفر إطارًا يمكن للكُتّاب الأمازيغ - من خلاله - تطوير أساليبهم، مع الحفاظ على أصالة الهوية الثقافية الأمازيغية.

تحول الأدب الأمازيغي من الشفوية إلى التدوين:

إنّ الأدب الأمازيغي لَطالما ارتبط بتقاليد شفوية غنية، تنتقل فيها القصص والأساطير من جيل إلى جيل عن طريق السرد الشفهي. وهذه المُتُون ليست مجرد حكايات عابرة، بل هي وسيلة أساسية للحفاظ على التراث الثقافي والهوية الأمازيغية. ومع ذلك، فإن التحول من هذه الثقافة الشفوية إلى التدوين يمثل لحظة حاسمة في تاريخ الأدب الأمازيغي.

وكما يوضّح والتر أونغ (Walter Ong)، فإن "الانتقال من الشفوية إلى الكتابة لا يعني التخلي عن التقاليد الثقافية، بل يمثل إعادة صياغة لها في شكل جديد، يُمكنه أن يواكب متطلبات

العصر الحديث، ويعزز استمراريته¹؛ فهذا التحول ليس بالأمر السهل، بل إنه يتطلب إعادة صياغة للهوية الأدبية بما يتناسب مع متطلبات العصر. وهنا، يأتي دور النقد الأدبي كعامل ضروري لدعم هذه النقلة؛ ذلك أنّ النقد الأدبي يمكن أن يُساعد الكُتّاب على الحفاظ على جوهر التقاليد الشفوية في كتاباتهم، مع تكييفها لتصبح أعمالاً مكتوبة، قادرة على مخاطبة القراء المعاصرين.

إن عملية التدوين تفتح أبواباً جديدة للأدب الأمازيغي، لكنها تأتي أيضاً بتحديات كبيرة؛ مثل الحاجة إلى تطوير لغة كتابية قادرة على التعبير عن تعقيدات الثقافة الأمازيغية بطريقة دقيقة ومؤثرة. والنقد الأدبي يجب أن يكون، في هذا السياق، موجّهًا وحكيماً؛ يُدرك أهمية هذه المرحلة، ويسعى إلى دعم الكُتّاب الأمازيغ في سبيل استكشاف إمكانيات جديدة، دون أن يفقدوا صلّتهم بجذورهم الثقافية.

وإذا كان الأدب هو الوسيلة التي يحتفظ بها المجتمع بذاته، فإنّ النقد هو الذي يضمن استمرار هذه الوسيلة بطريقة صحيحة. كما النقد الأدبي يمكن أن يكون "أداة حاسمة في فضح التحيزات الإمبريالية، وتعزيز الوعي الثقافي، الذي يحافظ على الهوية الوطنية"²؛ كما قال إدوارد سعيد في كتابه "الثقافة والإمبريالية".

النقد البناء.. دعم وتوجيه للكُتّاب الأمازيغ:

يلعب النقد البناء دورًا حيويًا في مساعدة الكُتّاب الأمازيغ، ولاسيما في هذه المرحلة الانتقالية، التي يحتاجون فيها إلى دعمٍ، يُعزز قدراتهم الأدبية، ويُوّجّههم نحو الابتكار، علمًا بأن عددًا من الكُتّاب الأمازيغ يفتقرون إلى الخلفيات الأكاديمية في الأدب؛ نتيجة عقودٍ من التهميش الثقافي واللغوي، وهو ما يجعل الحاجة إلى النقد البناء اليوم أكثر إلحاحًا.

ولا يقتصر هذا النقد على الإشارة إلى الأخطاء والنقائص، بل يمتد إلى تقديم اقتراحات بناءة وتوجيهات مُحفزة، تُمكن الكُتّاب من تحسين أساليبهم، وتجاوز هنّاتهم ونقُط ضعفهم. ويجب أن يكون النقاد واعين بالتحديات التي تواجه الكتابة بالأمازيغية؛ مثل الصعوبات اللغوية والشكلية،

¹ - والتر أونغ، الشفوية والكتابية: تكنولوجيا الكلمة، روتليدج، 1982، ص 14. (الترجمة للباحث)

² - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، 1997.

وأن يتحلوا بالصبر والتفهم، مع تقديم النقد بطريقة إيجابية، تشجع الكتاب على تطوير أعمالهم دون إحباط أو تبخيس.

إنّ ممارس النقد البناء بمثابة شريك في العملية الإبداعية، يساعد الكتاب على تجويد نصوصهم، مع الحفاظ على طابعهم الثقافي الأصيل. وهذا النهج النقدي يُسهم في بناء ثقة الكتاب بأنفسهم، ويُحفزهم على الاستمرار في الإبداع؛ مما يؤدي إلى تطوير أدب أمازيغي قوي ومميز، يُمكنه أن يترك بصمته على الساحة الأدبية الوطنية والعالمية كذلك.

النقد الأدبي كعامل محفز على الإبداع:

عندما يُمارس النقد الأدبي بطريقة فعّالة سليمة، فإنه يصبح قوة محفزة، تُسهم في إحداث تطورات إبداعية في مجال الأدب بصفة عامة. وفي السياق الأمازيغي، يلعب النقد دورًا أساسيًا في تشجيع الكتاب على تجاوز نطاق التقليدية، واستكشاف أساليب مغايرة، تفتح آفاقًا جديدة أمام الأدب الأمازيغي.

كما يمكن للنقد أن يكون أداة لإذكاء شرارة الإبداع؛ من خلال تقديم أفكار تدفع الكتاب إلى التفكير بطرق مبتكرة. فعلى سبيل المثال، يمكن للنقد أن يُبرز جماليات معينة في النصوص الأمازيغية التقليدية؛ مما يُلهم الكتاب لاستيحاء هذه العناصر، وتوظيفها بطريقة معاصرة. ويُسهم النقد الأدبي، أيضًا، في تعزيز وعي الكتاب بأهمية استلهاهم تراثهم الثقافي، وتقديمه في قالب جديد، يخاطب الجمهور العالمي، ويُحافظ - في الوقت نفسه - على الهوية الأمازيغية. علاوة على ذلك، يمكن للنقد المحفّز أن يُشجع على كتابة أعمال أدبية تجمع بين الأصالة والحداثة؛ مما قد يخلق تيارًا أدبيًا متجددًا، يعكس التنوع الثقافي للأدب الأمازيغي.

إجمالاً، فمن خلال النقد الإيجابي والبناء، يُمكن للأدب الأمازيغي أن ينمو ويزدهر، ويُصبح جزءًا لا يتجزأ من التيارات الأدبية الحديثة، دون أن يفقد أصالته أو جوهره الثقافي.

تحليل متوازن للنصوص: الإيجابيات والسلبيات

لتحقيق أكبر تأثير ممكن، في هذا الإطار، يجب أن يتسم النقد الأدبي بالموضوعية والتوازن؛ بحيث يُبرز الجوانب الإيجابية في النصوص الأدبية، إلى جانب تسليط الضوء على النقاط التي تحتاج إلى تحسين. وفي الأدب الأمازيغي، الذي ما زال في مرحلة النمو والتطور، يكتسي هذا النوع من النقد المتوازن أهمية كبرى. وِعوضَ التركيز على عيوب النصوص فقط، ينبغي للنقد أن يحتفي

بما هو مبتكر؛ مثل الاستخدام المائز للغة، واستثمار الأساطير والتراث الثقافي في السرد وغيره، وتوظيف الأساليب الأدبية الفريدة.

إنّ تحليل النصوص بطريقة متوازنة يُسهم في بناء الثقة بين الكُتّاب والنقاد؛ بحيث يشعر الكُتّاب بأن أعمالهم تُقدّر، ويُعترف بقيمتها الإبداعية. وهذا النوع من النقد يُشجع الكُتّاب على مواصلة الكتابة، وتطوير إمكاناتهم ومهاراتهم، بدلاً من أن يشعروا بالإحباط، أو أن يفقدوا الدافع إلى الإبداع. وفي الوقت نفسه، يتيح تسليط الضوء على السلبيات بطريقة بناءة للكُتّاب فرصة تحسين أعمالهم، وتطوير أساليبهم الأدبية.

وفي الأدب الأمازيغي، يمكن للنقد المتوازن أن يكون حافزاً وسبباً للتقدم الأدبي؛ من خلال تعزيز نقاط القوة، ومعالجة نقاط الضعف. ويعزز هذا النوع من النقد الفعّال جودة الإنتاج الأدبي، ويُسهم في بناء أدب متين، قادر على التفاعل مع مختلف الثقافات الأدبية عبر العالم.

استشراف المستقبل.. توجيه بوصلة الأدب الأمازيغي نحو العالمية:

لا يقتصر النقد الأدبي على تقييم النصوص الحالية فقط، بل يمتد عمله ليكون أداة فعّالة لاستشراف المستقبل، وتوجيه الأدب نحو آفاق ومسارات جديدة. وفي حالة الأدب الأمازيغي، يصير هذا الدور أهمّ، لاسيما وأنّ هذا الأدب الناشئ يسعى - باستمرارٍ - إلى تثبيت مكانته في الساحة الأدبية داخليا وخارجيا. ويُمكن للنقد الأدبي أن يساعد على تحديد الاتجاهات الإبداعية، التي يحتاج الأدب الأمازيغي إلى استكشافها، مع الحفاظ على أصالته الثقافية طبعاً.

كما يمكن للنقاد أن يُحفّزوا الكُتّاب على استلهام التراث الأمازيغي الغني؛ مثل الأساطير والحكايات الشعبية، وإعادة تقديمها بطريقة حديثة، مُواكبة للتيارات الأدبية العالمية. ومن شأن هذا النهج أن يجعل الأدب الأمازيغي أكثر جاذبية للقراء الدُوليين/الأجانب، وفي الوقت نفسه يعزز مستوى تقدير العالم للثقافة الأمازيغية.

علاوة على ذلك، فالنقد الأدبي يمكن أن يُوجه الكُتّاب نحو أساليب جديدة في السرد وبناء الشخصيات... تجعل أعمالهم تتماشى مع توقعات الجمهور العالمي. ولا يعني استشراف المستقبل في النقد التخلي عن الجذور الثقافية، بل يلزم توظيفها بذكاء؛ لتقديم أعمال أدبية تُعبر عن روح العصر، دون فقدان الارتباط بالهوية الأمازيغية.

التحديات النقدية: الأخطاء التاريخية والثقافية

من أبرز التحديات التي يواجهها الأدب الأمازيغي الأخطاء التاريخية والثقافية التي قد تظهر في النصوص، ولاسيما عندما تتناول الأحداث والشخصيات التاريخية أو التفاصيل الثقافية. وفي هذا السياق، يصبح دور النقد الأدبي ضرورياً لضمان دقة تمثيل هذه الجوانب، والتعبير عنها. وعليه، فمن الواجب على النقاد أن يكونوا على دراية كافية بالتاريخ الأمازيغي وتراثه الثقافي؛ ليمكنوا من تصحيح أي تحريفات، أو عدم دقة محتملة، قد تؤثر سلباً في مصداقية النص الأدبي. ويمكن أن تشمل تلك الأخطاء تاريخ الأحداث، أو عدم دقة تصوير الشخصيات التاريخية، أو إغفال السياقات الثقافية التي تُضفي عمقاً على النصوص. فعلى سبيل المثال، يمكن لتقديم الشخصيات الأسطورية على نحوٍ لا يعكس القيم أو الرموز الأصلية أن يُضعف التأثير الأدبي للنص، ويُفقد جوهره الثقافي. ويعمل النقد الأدبي، هنا، كمُرشد يُوجّه الكُتّاب نحو الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة، مع المحافظة على الأمانة التاريخية والثقافية.

إنّ "النقد الأدبي ليس مجرد تحليل للنصوص، بل هو عملية إبداعية تسهم في توجيه الأدب نحو مسارات جديدة ومبتكرة"؛ كما يؤكد هارولد بلوم (Harold Bloom) في كتابه "قلق التأثر". كما أن النقد يسهم في كشف العلاقات بين الكتاب وموروثاتهم الثقافية؛ مما يفتح المجال واسعاً لتقديم إبداعات أصيلة، دون الإخلال بالسياقات التاريخية والثقافية.

ولا يجب أن تُثني التحديات المشار إليها، وغيرها كذلك، الكُتّاب عن حوض مغامرة الابتكار والتجريب، بل ينبغي أن يُنظر إليها بوصفها فرصة سانحة لتعميق البحث والتفكير الإبداعي؛ من خلال التعامل مع هذه التحديات بوعي نقدي، يُعين الأدب الأمازيغي على أن يُقدم أعمالاً غنية، تُعبر بصدق عن تاريخه العريق، وتراثه الثقافي الفريد.

الأدب الأمازيغي كمصدر لا ينضب للإبداع:

يشبه الأدب الأمازيغي منجماً نفيماً مليئاً بالكنوز الثقافية، وكلما تعمقنا في استكشافه، اكتشفنا أساطير وحكايات غنية، تنتظر أن تُصاغ وتوظف في أعمال أدبية رائعة؛ فهذا الأدب يحمل بين طياته قصصاً مليئة بالقيم الثقافية والرموز التاريخية، التي تُعبر عن جوهر المجتمع الأمازيغي وتراثه العريق.

¹ - هارولد بلوم، قلق التأثر: نظرية في الشعر، ترجمة: عابد إسماعيل، دار التكوين، دمشق، 2020، ص 15.

ومن المُهم أن نرى الكُتّاب الأمازيغ، وهم يُعيدون إحياء حكايات قديمة؛ مثل: ملحمة أنتايوس وصراعه مع هرقل، وأسطورة أطلس الذي يحمل السماء على كتفيه، وأسطورة أنزار؛ إله المطر وكيفية تفاعله مع البشر. إنّ تقديم هذه القصص في سياقات حديثة لا يُعد مجرد ترفيه، بل هو وسيلة لفهم عمق الحياة الأمازيغية وتاريخها، وكيف واجهت المجتمعات الأمازيغية تحديات وصراعات عبر الزمن. ويمكن لإعادة صياغة هذه الأساطير بأسلوب معاصر أن يجعلها أكثر ارتباطاً بالقراء اليوم، ويفتح الباب أمام الأدب الأمازيغي ليصبح أدباً ذا صيت عالمي.

وفي هذا السياق، يلعب النقد الأدبي دوراً جوهرياً في دعم هذه العملية الإبداعية؛ بحيث يمكن للنقاد أن يُشجعوا الكُتّاب على استلهام هذا التراث الثقافي، واستخدامه بطريقة مبتكرة، مع التأكيد على أهمية هذه الأساطير والرموز، وتقديمها بأسلوب يُبرز جاذبيتها وإرثها الزاخر. والحقُّ أن للأدب الأمازيغي إمكانيات هائلة للتألق على الساحة الأدبية العالمية، لكنّ تحقيق ذلك يتطلب دعماً نقدياً مستنيراً، يُحفز على الابتكار، ويوجه الكُتّاب نحو تقديم أفضل ما لديهم.

دمج النقد الأدبي في التعليم الجامعي:

يمثل ماستر "الدراسات النقدية في الأدب الأمازيغي"، التابع للكلية متعددة التخصصات بالناظور، والذي ينسقه د. عبد الله أزواج، خطوة غير مسبوق، ومبادرة رائدة؛ لتعزيز حضور الأدب الأمازيغي، والنقد الموجه له، في المنظومة الأكاديمية؛ بحيث يشكل إدماج النقد الأدبي الأمازيغي في برامج التعليم العالي تطوراً نوعياً، يدعم مسار تطوير هذا الأدب الناشئ، وبتيح للطلاب والباحثين فضاءً علمياً لدراسته بمنهجية أكاديمية، من شأنها أن تسهم في فهم أعمق للثقافة الأمازيغية، وتقاليدها الأدبية.

إنّ هذا الإدماج لا يتوقف - من حيث أهدافه - عند حدود تطوير الكتابة الإبداعية، بل يمتد ليُحدث نقلة نوعية على مستوى النقد الأدبي نفسه؛ من خلال برامج أكاديمية جادة، مثل هذا الماستر، الذي يُمكنه تكوين جيل جديد من النقاد، الذين يمتلكون أدوات تحليلية ومعرفية متطورة، تُساعدهم على تقييم النصوص الأدبية الأمازيغية بشكل احترافي. ولا شك في أنّ هذا النوع من النقد يُعزز جودة الإنتاج الأدبي، ويُتيح للكُتّاب فرصة الاستفادة من ملاحظات علمية بناءة، تُسهم في تطوير أعمالهم وإثرائها.

علاوة على ذلك، يؤدي النقد الأدبي في الأوساط الأكاديمية إلى خلق بيئة حيوية، تُشجع التعاون بين الكُتّاب والنقاد؛ مما يقود إلى تأسيس حركة أدبية متفاعلة وديناميكية.. تلك البيئة

تُعزز تبادل الأفكار، وتشجع الابتكار؛ مما يجعل الأدب الأمازيغي أكثر حضورًا وتأثيرًا، سواء على المستوى المحلي أو العالمي.

إنّ دمج النقد الأدبي في برامج التعليم الجامعي خطوة محورية نحو ضمان استدامة الأدب الأمازيغي، مع الحفاظ على أصالته الثقافية، ودفعه إلى مواكبة تطورات العصر ليصبح جزءًا من المشهد الأدبي في الداخل كما في الخارج.

العولمة والذكاء الاصطناعي في خدمة النقد الأدبي الأمازيغي:

في عصر العولمة، والتطور السريع في تقنيات الذكاء الاصطناعي، صار الأدب الأمازيغي أمام تحديات وفرص غير مسبوقة؛ ذلك أن العولمة فتحت الأبواب أمام الأدب الأمازيغي للوصول إلى جمهور أوسع؛ مما يمنحه إمكانية الانتشار والتأثير، لكن ذلك يتطلب القدرة على إنتاج أعمال تتسم بال جودة والإبداع، وهي مهمة يمكن للنقد الأدبي أن يُسهّلها. والنقاد اليوم ليسوا بحاجة إلى فهم السياقات الثقافية المحلية فقط، بل عليهم - أيضًا - أن يكونوا واعين بكيفية تقديم الأدب الأمازيغي في سياق مُعَوَّلَم، يمكنه من التفاعل بسلاسة مع ثقافات متعددة ومختلفة.

أما الذكاء الاصطناعي، فقد أصبح أداة قيّمة، يمكن توظيفها في عمليات النقد والتحليل الأدبي؛ ذلك أنّ تطبيقاته يمكن أن تساعد النقاد في تحليل النصوص الأدبية بشكل أعمق؛ من خلال دراسة المظاهر اللغوية والأسلوبية، أو حتى تقديم رؤى إحصائية حول تكرار الرموز الثقافية والأساليب السردية وغيرها. ومع ذلك، يبقى النقد الأدبي الأمازيغي في حاجة إلى اللمسة الإنسانية، التي تقتضي الفهم العميق للسياقات الثقافية والتاريخية، وتقدير الجوانب الإبداعية للنصوص. وبهذا المعنى، يُمكن للعولمة والذكاء الاصطناعي أن يكونا أدوات مهمة تدعم النقد الأدبي الأمازيغي؛ مما سيجعله أكثر حداثةً وفعاليةً، دون أن يفقد جوهره وهويته.

على سبيل الختم:

في نهاية المطاف، نؤكد أن النقد الأدبي يلعب دورًا لا غنى عنه في رعاية الأدب الأمازيغي، ودفعه نحو النضج والتميز؛ فهو يعد النقد الأدبي أداة تحليلية وتوجيهية متجدرة في الحكمة، قادرة على إحداث تأثير إيجابي كبير في مسيرة ذلك الأدب؛ من خلال توفير الدعم والملاحظات البناءة، وتعزيز قدرة الأدب الأمازيغي على النمو، مع الحفاظ على أصالته الثقافية.

إنّ هذه المرحلة الحرجة من التحول من الشفوية إلى التدوين تتطلب تعاونًا وثيقًا بين الكتّاب والنقاد. كما يجب أن يكون النقد الأدبي محقّقًا على الإبداع، ومشجّعًا على الابتكار، مع الإلحاح على أهمية الحفاظ على التراث الثقافي الأصيل. وإنّ دمج النقد في التعليم الأكاديمي يفتح أبوابًا جديدة أمام تطوير الأدب الأمازيغي؛ مما سيجعل منه جزءًا لا يتجزأ من الحوار الثقافي العالمي... ونختم مقالنا بالقول إن المستقبل، هنا، واعدُّ إذا ما استمر النقد في تقديم الدعم المأمول والرؤية المستنيرة؛ مما سيجعل من الأدب الأمازيغي - بلاريب - مصدر فخر وثقافة يُحتفى بها عالميًا.